

من نواذر وطرائف الحرب

5

العقد الثمين

بقلم : أ. عبد الحميد عبد القصود
بريشة : أ. عبد الشافي سعيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى



المؤسسة العامة للكتاب
للتوزيع والترويج
P.O. Box 11111 - Jeddah - Saudi Arabia
توزيع : مؤسسة العامة للكتاب

في عصر الدولة الإسلامية الكبرى المترامية الأطراف ..
وبالتحديد في عهد الخليفة العباسي «عبد الدولة» حدثت هذه
القصة الطريفة ..

في ذلك العصر البعيد كان الناس يسافرون من بلد إلى بلد
على ظهور الدواب كالخيل والحمير والبغال والجمال . أو
يسافرون في البحر على ظهور السفن الشراعية ، فلم تكن السيارات



والقطارات والطائرات والسفن التي تعمل بمحركات قد
أحترقت بعد ..

وكان الناس يحملون معهم أموالهم من بلد إلى بلد ، وكانت
هذه الأموال عرضة للسرقة والضياع ، حيث لم تكن هناك
بنوك ، ولا مصارف ليحفظ الناس فيها أموالهم ، أو يحولوها إلى
البلد الذي يقصدونه ..

وفي ذلك العصر البعيد ، قرر رجل خراساني الخروج من
بلده « خراسان » قاصدا بيت الله الحرام في مكة المكرمة ،



لأداء فريضة الحج ، وزيارة قبر الرسول ﷺ في المدينة المنورة ..
ولما كانت الأموال التي سيحملها الخراساني معه أموالاً
كثيرة وتفوق نفقات رحلته إلى الأراضي الحجازية ، فقد قرّر
أن يشتري بالأموال الزائدة عن حاجته عقداً من الماس ،
يسهل عليه أن يخفيه بين متاعه ، فلا يكون عرضة للضياع أو
السرقه من اللصوص وقطاع الطرق ..

اشترى الخراساني عقداً نادراً من الماس بألف دينار ذهباً ،
وألف دينار في ذلك الوقت مبلغ كبير جداً ..

مر الخراساني في طريقه إلى الأراضي الحجازية بمدينة
بغداد ، وهي في ذلك الوقت عاصمة دولة الخلافة ، ومدينة
من أغنى مدن العالم ، وأكثرها بهاء وثراء ..

وهناك تهيأ للسفر مع قافلة من الحجاج ، لكن الناس
حذروه من حمل هذا العقد الثمين معه ، خشية سرقته من قطاع
الطرق الذين يتربصون بالقوافل في الصحراء ، ويسطون على
الأموال والممتلكات ، فحزن الخراساني حزناً شديداً ، وتدم
على تسرعه في شراء ذلك العقد الثمين من الماس ، وكاد
يلغي رحلته للحج ويعود إلى بلده ، لولا أن واثته فكرة ، وهي أن

يترك العقد الثمين أمانة لدى أحد تجار بغداد المتصفين
بالأمانة، حتى يعود من الأراضي الحجازية فيسترده، عائداً به
إلى خراسان ..

وفي ذلك الوقت من الزمن، كان الناس يودعون أماناتهم لدى
المتصفين بالأمانة، ثم يعودون ويستردونها، في أي وقت شاءوا ..



سأل الخراساني عن رجل من أهل بغداد يتصف بالأمانة ،
فدله الناس على عطار مشهور بالأمانة في سوق بغداد ، ويدعى
التاجر (فخر الدين) فتوجه إليه حاملاً عقده الثمين ، وقد لفه
في قطعة حرير خضراء ..

كان التاجر فخر الدين جالساً في حانوت عطارته ، فالتقى
الخراساني عليه السلام .. ثم قال :

- سمعت الكثير عن نزاهتك وأمانتك وصدقك ...

فقال العطار في تواضع :

- هذا من فضل الله ، فالأمانة والصدق هما أهم صفتين يجب

أن يتحلى بهما التاجر ..

وأضاف الخراساني قائلاً ، وقد استولق من أمانته :

- لهذا جئت أستودعك هذه الأمانة ، حتى أعود من أداء

مناسك الحج ..

فنظر إليه العطار ، قائلاً :

- ما الأمانة التي تود تركها عندي ؟ !

ففتح الخراساني اللقافة الحريرية ، وأخرج منها عقده الثمين ،

قائلاً :

- هذا العقد ..

ونظر العطار إلى العقد ، متأملاً إياه في انبهار .. ثم قال :
- عقدٌ ثمينٌ من الماس الحر .. لم أر في حياتي عقدا بهذه الروعة ..
فقال الخراساني :
- لقد خشيت عليه من السرقة أو الضياع في الطريق ، ولهذا
جئتُك به ؛ لتحفظه لي حتى أعود ..
فتبسم العطار قائلاً :
- حجٌّ مبرورٌ وذنبٌ مغفورٌ إن شاء الله يا أخي .. اذهب سالماً ،



وَعُدَّ سَالِمًا ، وَلَا تَخْشَ عَلَى عَقْدِكَ شَيْئًا ، فَهُوَ فِي الْحِفْظِ
وَالصُّونِ ، وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَرِدَّهُ فِي أَيِّ وَقْتٍ تَشَاءُ ..
فَشَكَرَهُ الْخُرَاسَانِيُّ ، وَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْصِرَافِ ، حَتَّى يَلْحَقَ
بِالْقَافِلَةِ الْمُسَافِرَةِ إِلَى مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ ..
أَمَّا الْعِطَارُ الْمُتَّصِفُ بِالْأَمَانَةِ ، فَقَدْ أَخَذَ بِقَلْبِ الْعَقْدِ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ بِإِعْجَابٍ ، وَهُوَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ :
.. هَذَا عَقْدٌ نَادِرٌ وَلَا يُوْجَدُ فِي سُوقِ بَغْدَادَ كُلِّهَا عَقْدٌ مِثْلَهُ ..



لَوْ أَنِّي أَمْتَلِكُ عَقْدًا مِثْلَهُ ١٩

ثُمَّ لَفَّ الْعِطَارُ الْعَقْدَ فِي لِفَافَتِهِ ، وَوَضَعَهُ مَعَ بَقِيَّةِ الْأَمَانَاتِ ..
مَضَتْ أَيَّامٌ وَأَسَابِيْعٌ وَشُهُورٌ ، وَالْعَقْدُ الثَّمِينُ مُودَعٌ فِي خَزَانَةِ
الْعِطَارِ ، الَّذِي وَسَّوسَ لَهُ الشَّيْطَانُ بِخِيَانَةِ الْأَمَانَةِ وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى
الْعَقْدِ ، وَظَلَّ يُوَسَّسُ لَهُ لَيْلٌ نَهَارٌ ، حَتَّى ضَعُفَتْ نَفْسُهُ وَتَاقَ إِلَى
خِيَانَةِ الْأَمَانَةِ ، وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْعَقْدِ ...



و ذات يوم عاد الخراساني من الحج ، فتوجه إلى حانوت
العطار فخر الدين ، فألقى عليه السلام .. ثم تقدم منه مصافحا
في حرارة ، وقال له :

- أيها العطار الأمين الصدوق ، لم أجد ما أعبر لك به عن مدى
شكري وتقديري لأمانتك ، سوى هذه الهدية المتواضعة ،
وأرجو أن تقبلها مني ..

وقدم له عباءة من الصوف .. وبرغم أن العطار فخر الدين قد
تعرفه منذ الجولة الأولى ، إلا أنه تظاهر بعدم معرفته له ، وقال :
- أقبلها منك بآية مناسبة ، وأنا لم يسبق لي معرفتك ، أو
التعامل معك ! ؟

فقال الخراساني معرفا نفسه :

- أنا صاحب العقد ..

فقال العطار :

- أي عقد ! ؟

فقال الخراساني مذكرا إياه :

- العقد الماسي ، الذي أودعته أمانة لديك ، حتى أعود من

أداء فريضة الحج .. لقد عدت لأسترده .. فقال العطار
متهكما :

- أنا لا أعرفك ، ولا أفهم عن أي شيء تتحدث ! ؟

فقال الخراساني :

- العقد الذي كان ملموفا في قماشة حصراء .. تذكر يا أحي
فهذا العقد كل ما بقي لي من مال ، وأنا أريد العودة إلى بلدي ..
وطن الحراساني المسكين يذكر العطار ، لكن العطار ظل
على إكباره حتى صاح مهددا



- جئني بهدية تافهة : لدعى على عقد ثمن أيها اللص
المحاذغ .. اعرب عن وجهي ، وإلا حطمت رأسك .
وتجمع بعض التجار من أعصاب الحواشيت في سوق بغداد
لفص المشاحرة بينهما ومعرفة ما حدث ، فقال العطار
- ذلك اللص المحاذغ يدعى أنه أعطاني عقدا ثمينا لأحفظه له
على سبيل الأمانة ، وجاء ليترده

وشرح لهم الحراسائي المسكين قصة العقد من البداية إلى
النهاية ، لكن أحدا لم يصدقه . فالجميع يعرفون أن العطار
موصوف بالصدق والأمانة ، ولا يمكن أن يطمع في أي شيء ،
حتى لو كان عقدا من الحاس ، وهم لا يعلمون أن الشيطان قد
وسوس له بالاستيلاء على العقد

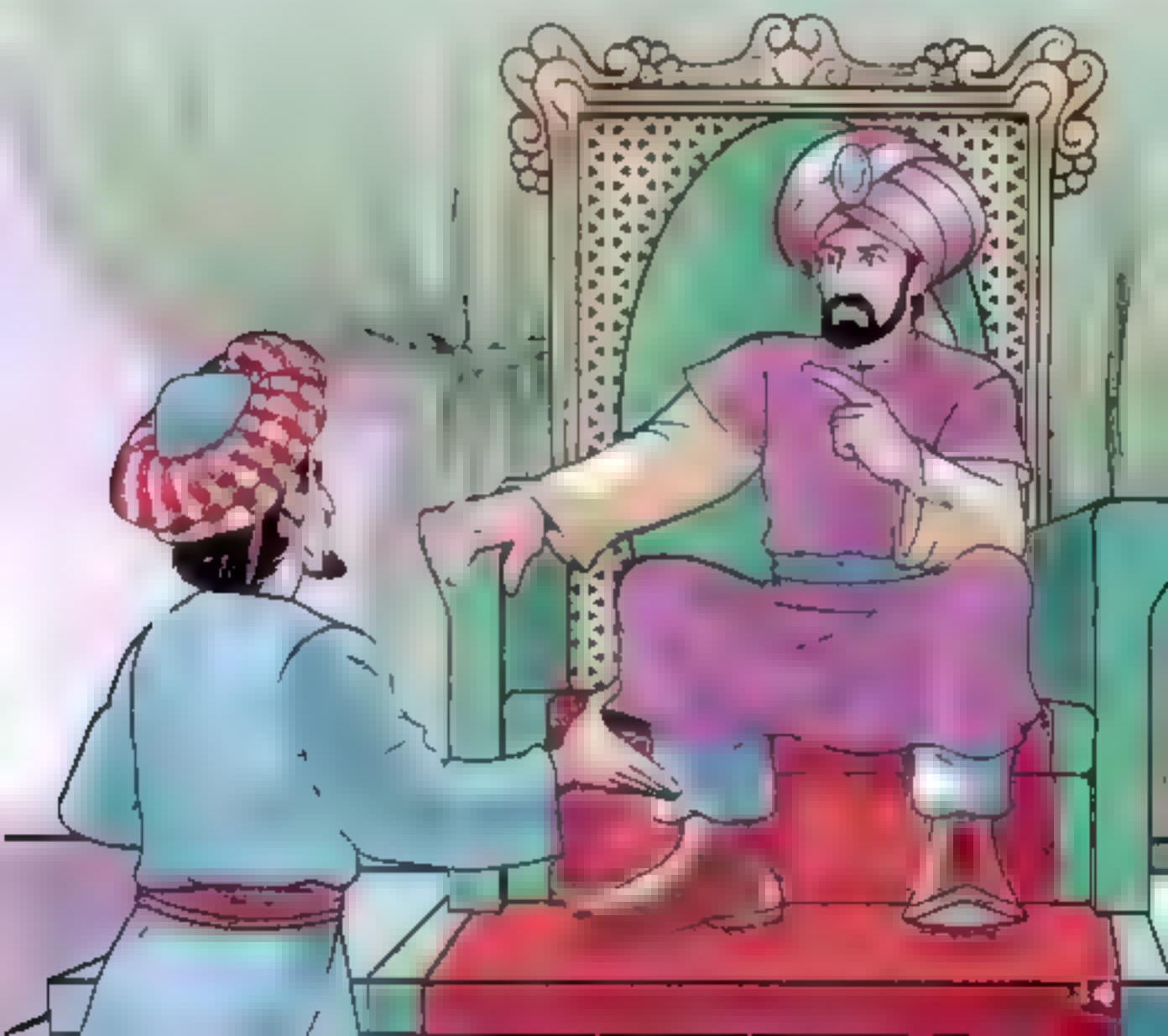
وتعاون الجميع على طرد الحراسائي المسكين ، حتى
لا يشوه بصياعه سمعة العطار المشهور بالأمانة ، فجلس
المسكين في ركن حارج السوق ، وأحد يبكي حطة النفس الذي
أوقعه في ذلك العطار . وراح يفكر في طريقة يحصل بها على
نقود ليعود بها إلى بلده ، بعد أن طرده العطار عدة مرات ،
ويئس من إعادة العقد

وبينما هو على هدد الحال ، أشفق عليه بعض الناس وسألوه

عن سبب حُرِّه وبُكَائه ، فقص عليهم الحُرَّاساني قصته ،
فصحَّه بعضهم أن يتوجه إلى قصر الحليفة عهد الدولة ، الذي
اشتهر بدكانه ، وإقراره العدل بين الناس . فهو الوحيد في هذه
المدينة الذي يستطيع حل غموس النمر ، وإعادة العقد إليه .
توجه الحُرَّاساني إلى قصر الخلافة في بغداد ، محاولاً



الدخول لمقابلة عصف الدولة ، أكرم من مرة ، لكن الحراس في
كل مرة كانوا يدفعونه بعيدا ، ويمنعونه من دخول لقصر .
وفي النهاية كتب الحراس في قصه مع العطار في رقة وقدمها
لرئيس الحراس ، موصلا إليه ان يقدمها للحليقة .
قرأ الحليقة عصف الدولة قصة الحراس في مع العطار ، لدى



استولى على عقده الثمين ، وصاح مادي الحاحب ، فلما مثل
بين يديه قال له :

- أدخل ذلك الحراساني صاحب الشكوى ..

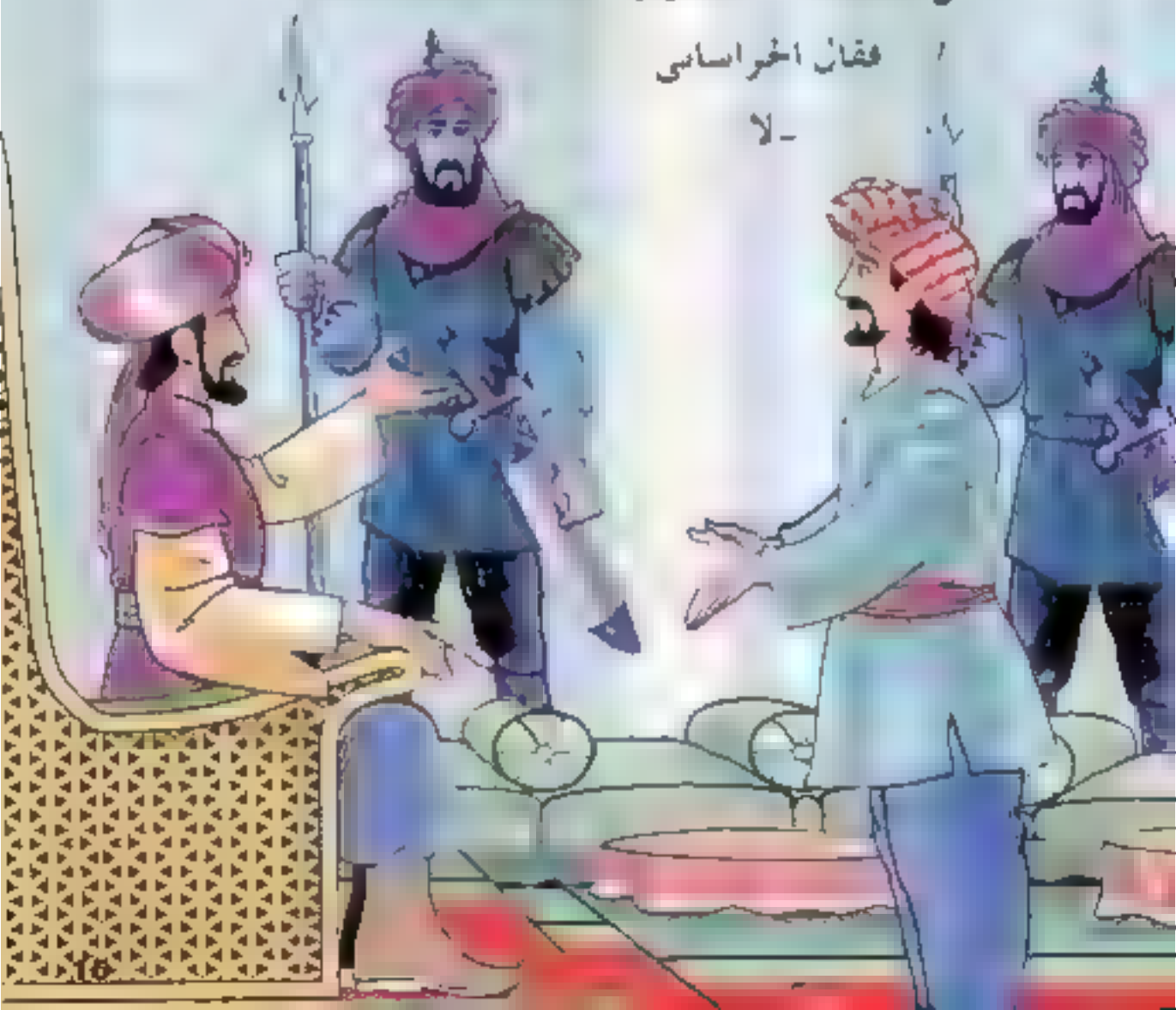
فسارع الحاحب بإدخال الحراساني ، فلما وقف أمام عصف
الدولة سأل قائلاً :

- حين أودع العقيد أمارة لدى العطار فحمر الدين ،

هل أحدث منه صكا يصيد أنك سلمه العقيد ؟

فقال الحراساني

- لا



فَقَالَ عَصَدُ الدَّوْلَةِ :

- هَلْ يُوْجَدُ شَهِيدٌ يَشْهَدُونَ أَنَّكَ سَلَمْتَ الْعَقْدَ ؟

فَقَالَ الْخُرَّاسَانِي

- لَا .. وَلَكِنِّي أَقْسَمُ إِنِّي سَلَمْتُ الْعَقْدَ عَلَى سَبِيلِ الْأَمَانَةِ ..

فَقَالَ عَصَدُ الدَّوْلَةِ

- سَأَرَى مِنَ الصَّادِقِ مَكْمًا وَمِنَ الْكَاذِبِ ..

فَقَالَ الْخُرَّاسَانِي

- وَفَقَ اللَّهُ الْخُلَيْفَةَ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ ..

فَقَالَ عَصَدُ الدَّوْلَةِ :

- اذْهَبْ عِدَا إِلَى حَابُوتِ الْعِطَارِ فَحَرِّ الدِّيسِ ، وَاجْلِسْ أَمَامَهُ ..

فَقَالَ الْخُرَّاسَانِي :

- سَيَنْهَرُّنِي وَيَطْرُدُنِي ، كَمَا طَرَدَنِي مِنْ قَبْلُ ..

فَقَالَ عَصَدُ الدَّوْلَةِ

- إِذَا طَرَدَكَ ، فَاحْصِرْ عَلَى أَنْ تَجْلِسَ فِي الْجِهَةِ الْمُقَابِلَةِ

لِحَابُوتِهِ ، وَوَاظِبْ عَلَى الْحُلُوسِ هُنَاكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَتَالِيَةٍ ، فَإِنْ

أَعَادَ إِلَيْكَ الْعَقْدَ ، فَعَالَ وَأَحْبَرَنِي بِمَا حَدَثَ .

فَقَالَ الْخُرَّاسَانِي

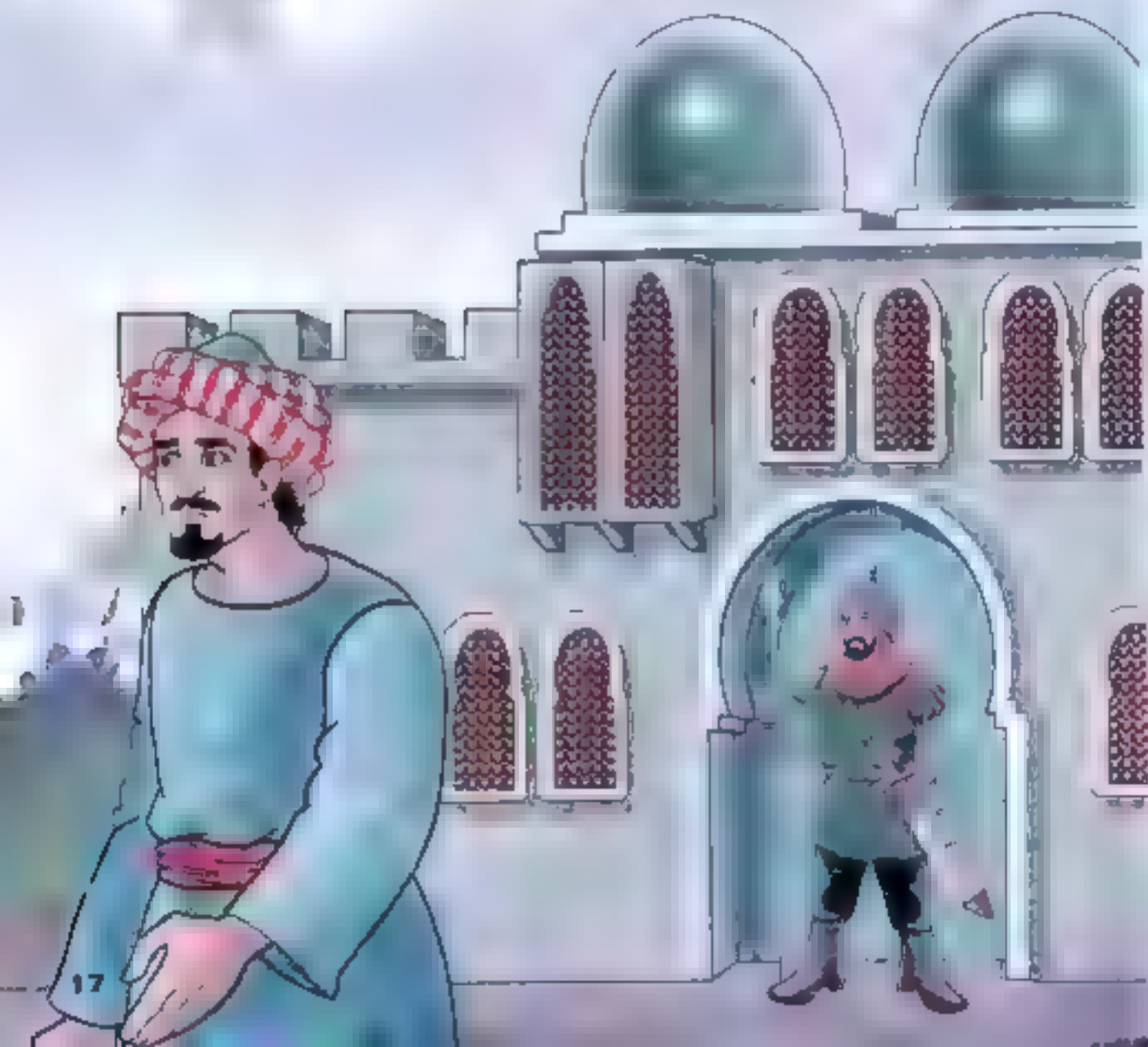
- فَإِذَا لَمْ يُعْطِنِي الْعَقْدَ ؟

فقال الخليفة :

- هي اليوم الرابع سوف أمر عليك في موكبي ، وألقي عليك
السلام ، فيراك أن يهض لي .

فقال الخراساني مستكرا

كيف لا أنهض احتراماً لك ، وأنت خليفة المسلمين ، وليس
في الدولة كلها من هو أرفع مكاناً منك ؟



فَقَالَ الْخَلِيفَةُ :

- بعد ما أقول لك إياك أن تهضر لى ، ولكن رد على السلام ،
وأحبى عما أسألك عنه وأنت حالى فى مكانك ..
وبعد انصرفنى عد إلى العطار واطلب منه عقدك مرة أخرى .. ثم
تعال إلى هنا وأحبرى بما حدث



وقال الحراساسي

.. سمعا وطاعة أيها الحليفة .

وفي اليوم التالي توجه الحراساسي إلى حاوت العطار، وحاول

أن يجلس أمامه كما أمره الحليفة فبهره العطار وطرده ، وحاول

الاعتداء عليه بالصرب .

فذهب الحراساسي إلى المحلة المغالمة لحاوت العطار وجلس

كما أمره الحليفة من الصباح الى المساء بحث يراه

العطار طوال الوقت



ولكن العطار لم يرق قلبه له . أو يشفق عليه ، فيعيد إليه
عقده ، حتى يعود إلى بلده .

وقد واطب الحراساسى على ذلك ثلاثة أيام متتالية ..
وفى اليوم الرابع ، سمع الناس فى السوق صياحا وصوصاء
وحلبة . وسرعان ما ظهر العسكر والحراس ، وهم يوسعون
الطريق لمرور الحليمة عصف الدولة فى موكبها الفخم يحيط به
الوراء وكبار رجال الدولة .

استمر موكب عصف الدولة فى سيره داخل السوق ، والتجار
يخرجون من حوانيتهم احتراماً له . حتى وصل إلى حنوت
العطار ، فلمح الحراساسى حالها فى الجهة المقابلة ، فوجه
إليه مرحباً به :

- من أرى ؟^{١٥} صدبقى أما حاله الحراساسى ؟^{١٦} كيف حالك
يا أحمى ؟^{١٧}

فلم يتحرك الحراساسى من مكانه ، ورد عليه قائلاً
- أحمد الله على كل حال
- فقال عصف الدولة :

- أما عنت عنت ما حاله كيف ناسى بلدا بعدد
ولا تفكر فى ربابى و لرون على عيشا فى قصرى ، كم

كَانَ يَحْدُثُ مِنْ قَبْلُ ١٩

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ :

- منعني من زيارتك بعض المشاغل في بغداد .. عندما أنتهي

منها سوف أمر عليك ..

فَقَالَ عَصَدُ الدَّوْلَةِ :

- أنا في انتظارك يا أخي ، فلا تتأخر علي ..

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ :

- إن شاء الله ..



وابتعد الخليفة في موكبهِ ، وكان العطار فخر الدين يُراقبُ
ما يحدث ، ويستمع إلى ما دار بين الخليفة وعُصَد الدولة
والخراساني في رعب ..

فلما رأى الخليفة يتصرف اقتراب من الخراساني وخاطبه
في احترام قائلاً :

- من فضلك يا أخى ..

فنظر إليه الخراساني متعجباً ، وقال :

- نعم أيها العطار ..

فقال العطار :

- ذكرني مرة أخرى بالعقد الذي أودعته عندي ، فإن ذاكرتي
ضعيفة ، ومنذ طالبتني به وأنا أحاول أن أتذكر أين وضعته ،
لكن ذاكرتي تأبى إلا أن تخدلي ..

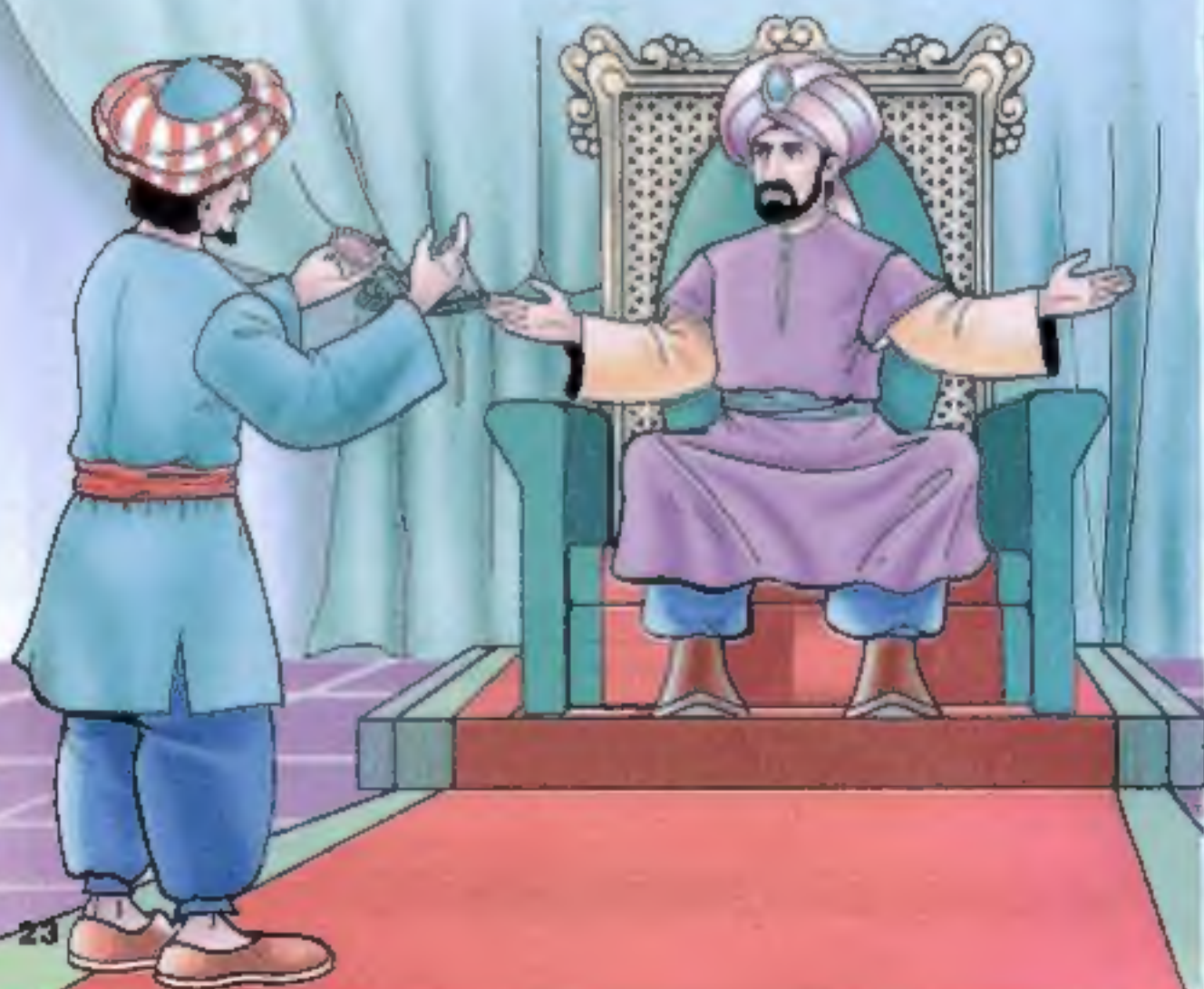
وأعاد العطار العقد الثمين للخراساني ، فذهب به في الحال
إلى الخليفة عُصَد الدولة ، الذي نظر إليه قائلاً :

- ها قد عاد إليك عقدك الثمين أيها الخراساني ..

فقال الخراساني في تأدب :

.. الفضل لله الذي ألهمك هذه الحيلة الذكية ، وإلا ضاع عقدي
ولم أستطع استردادته من ذلك العطار الذي خان الأمانة ...
فقال عضد الدولة :

.. خذ عقدك وعد إلى بلدك سالماً .. أما ذلك العطار ، الذي
اتّمن فحان ، فسوف يكون لي معه شأن آخر .. وأمر الخليفة



عَصْدُ الدَّوْلَةِ رَئِيسَ الْحُرَّاسِ أَنْ يَتَّجِهَ إِلَى سُوقِ بَغْدَادَ ، وَأَنْ
يَقْطَعَ يَدَ الْعِطَّارِ الْخَائِنِ لِلْأَمَانَةِ ؛ لِيَكُونَ عِبْرَةً لِمَنْ تُسَوَّلُ لَهُ
نَفْسُهُ حَيَاةَ الْأَمَانَةِ مَرَّةً أُخْرَى ..

وَهَكَذَا عَادَ الْعَقْدُ الثَّمِينُ لِمُصَاحِبِهِ الْخُرَّاسَانِي ، بِفَضْلِ حِيلَةٍ
وَذَكَاةِ الْخَلِيفَةِ عَصْدِ الدَّوْلَةِ ، وَإِصْرَارِهِ عَلَى إِقْرَارِ الْحَقِّ
وَالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ ...

(تَمَّتْ)